حيوانات الغابة

الأسد

قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (المدثر ٥٠ : ٥١) الأسد، ملك لا يعرف الملك، شديد الكسل، قليل العمل، تخدمه اللبؤات، بإطعامه وإشباع الرغبات، فيأكل الطيب من اللحم ويترك الغث والفتات، قل ما يخرج للصيد، نال الملك بخوف الرعية، وإن كان لا يرعى إلا خاصته، فإن شغلت اللبؤات بالأشبال وجاع ؛ أكل رعيته.

فإن رأيت ملوكا، لا يعرفون من الملك إلا اسمه، ومن صفاته إلا الملذات، ومن تبعاته إلا الشهوات، يشبعون وشعوبهم جائعة، ويكتسون ورعاياهم عارية، بالقوة يحكمون، وبالخوف يسودون، تتعالى بمدحهم الصيحات، وتنسج حولهم الهالات، فاعلم أنما هم أسود ترعاهم لبؤات. قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (النمل ٣٤)

الفهد

الفهد، جميل رشيق القد، أسرع عداء على وجه الأرض، قلما يفلت منه الصيد، فإذا تمكن من الغنيمة، نازعته الضوارى والكواسر اللئيمة، فآثر السلامة وترك الغنيمة، فعاشوا بصيده وطال بهم الأمد، وقل بتركه وأوشك أن ينقرض، لأنه مسالم فى عالم الغاب، والسلم فى عالم العنف عذاب.

فإن رأيت أقواما يؤثرون أنفسهم بغير حق، بل وينازعون أصحاب الحق، حتى إذا استأثروا بالغنيمة، اتهموا أصحاب الحق بالجريمة، فاعلم أنهم ضوارٍ يلهثون خلف الغنائم، فإن رأوها؛ قتلوا الواقف والهاجع والنائم، ثم اتهموهم بسرقة الغنائم، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ (محمد ٣٥)

الذئب

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (يوسف: ١٣).

الذئب، جميل شرس، ذكى مفترس، فلا يلهينكم جماله عن شراسته، وفىٌّ لإلفه، غادر بغيره، علم ضعف قوته، فاستعان على الصيد بعصبته، فلما وقعت فريسته، مضى كل بحاجته، برأه الله فى القرآن من دم الصديق، فكان أول سفاك دم برىء، وأحل له رسول الله ﷺ نهبته، فكان أول لص شريف.

أما فى هذا الزمان، تجمعت الذئاب من بنى الإنسان، فلما وقعت فريستهم، تنازعوا فى أمرهم، واقتتلوا فيما بينهم، وأكل قويهم ضعيفهم، وغدروا بإلفهم، وخانوا عهدهم، ففاقوا الذئب شراسة، ولم يضاهوه جمالا وحيلة، ولذا برأه الله فى القرآن وأدان الذئاب من بنى الإنسان، قال تعالى: ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (يوسف ٧٧).

الثعلب

الثعلب، أمير الدهاء، شديد المكر، شديد الذكاء، يمشى الخيلاء، شديد الحذر، يتهاوت عند الخطر، فإذا ذهب وثب واستتر، ينشد الهدف بكثرة الحيلة، ولا يهمه نبل الوسيلة، يرهب الصغير ويداهن الكبير ويخشاه، حتى يصل لمبتغاه، يتباهى بفكره، ولا يعجبه إلا رأيه، فإن جاع الأسد، فلا ينجيه فكر، ولا ينفعه حذر.

فإن رأيت من يقوى على الصغير لضعفه، ويخشى الكبير لسطوه، ولا يعجبه إلا رأيه، فإنما هو ثعلب حباه الكبير لنفسه، و أطلقه على عدوه، حتى إذا دنا يومه، أسن الأنياب لأكله قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ (فاطر ٤٣).

الضبع

الضبع، أحدب قبيح المنظر، أعرج قبيح المشية، كثيف الشعر، مزعج الصوت، كريه الرائحة، شديد النهم، قليل الصيد، آكل للجيفة، صديق للبيئة، من الطوافين بالليل، وكأنه يفعل الخير فى السر، ليس بسبع، ولا يخشى السبع، يأكل ما لا يأكله السبع، يبغضه الناس لقبح المنظر، رمز للخسران ، فمن عاد بخيبة ضبع، ومن عاد بغنيمة سبع، فظلموا الضبع برغم نفعه، ونصروا السبع برغم ضرره، هكذا الناس يعظمون القوى، وإن كان بلا نفع، ويسفهون الضعيف وإن كان صاحب نفع، فلا يغرنك الضعيف قبيح المنظر، فلعل فى ضعفه الخير، ولا يغرنك القوى وإن تجبر، فالقوة بلا عقل محض شر، فكن ضبعا إذا أردت النفع، ولا تكن سبعا بلا نفع، قال رسول الله ﷺ «**خير النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**» (رواه الطبرانى فى الأوسط).

النمس

النمس،شجاعة ما بعدها شجاعة، وسرعة وخفة، وقوة قبضة، لا تخيفة سطوة، ولا ترهبه قوة، يخشاه كل صاحب ناب ومخلب وخف، بل ويعتريهم عند رؤيته الخوف، يهاجم أعداءه بلا خوف، ولا يهجم أبدا من الخلف، لم يعرف أبدا طعم الهزيمة ، فإما الفتك بالفريسة، وإما انسحابها من أمامه ذليلة، يمشى فى الغابة مزهوا بنفسه، بما وضع الله من شجاعة فى قلبه.

كذلك كل من يدافع عن الحق، لا يخشى أحدا من الخلق، ولا ينظر إلا إلى الله الواحد الحق، يتلاشاه كل فاسد وظالم، فلا يملكون لمواجهته حيلة، فيدبرون له المكائد، وينصبون له المصائد، فلا يكتم أبدا قوله، بل وينطق بالحق بعلو صوته، لعلمه أن الله دائما بجواره، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ (آل عمران ١٧٣).

الظربان

الظربان، قصير مفترس، حاد شرس، قوى المخلب، يضرب ولا يهرب، ويهجم فلا يرجع، انفرادى تستهويه الوحدة، يتجول ليلا وحدة، ينقب فى الحجور، فيأكل ما فيها من صغير أو كبير، ويأكل الحشرات والنباتات والجذور، وحتى بيض الطيور، فإن وجد من يفوقه قوة، أدار له ظهره، وأخرج له فسوه، فهرب من نتن ريحه، ولم ينظر أبدا خلفه، فإن شعر بالملل، ولم يشبعه ما أكل، هرع إلى خلية فهدمها، ثم أكل نحلها وعسله، فلا عجب أن يعيش وحده.

هكذا كل سفاح، يخشى الظهور، ويستهويه الظلام، ويرهبه النور، يخشاه - إن وُجدوا- الأصدقاء، ويترقب ظهوره الأعداء، فعلم بأن الليل له ستار، وأدرك الخطر فى ظهوره فى النهار.ولكن فليعلم كل ظالم جبار، بأنه مهما طال الليل فلابد أن ينجلى بنهار ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۗ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (القصص ٧١).

ابن عرس

ابن عرس، صغير الحجم، برىء الوجه، قصير ولكنه خطير، قاتل شرس، ولص مختلس، ومراوغ محترف، سريع الهرب، وعند الخوف لا يضطرب، لا يرحم صغيرا، ولا يخاف كبيرا، يهاجم على الدوام، فالكل له طعام، فإن شبع قتل لعشقه للقتل والانتقام، فإذا انبثق النهار اختفى، وعاد ليسفك الدماء فى الظلام، فبرغم براءة وجهه إلا أنه حوى كل صفات الإجرام.

فلا يغرنك القصير، فقد يكون عنده من المكر الكثير، ولا يغرنك برىء الوجه، فيلهيك عن سوء الفعل، واحذر ممن يخشى ضوء النهار، وارتقب غدره عندما يعم الظلام، فالليل ستار، لكل ظالم وغدار. قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (النمل ٥١).

وحيد القرن

الكركدن، قوة بها لا يستهان، سرعة رغم الثقل، وجرأة وقوة بنيان، يعرف مدى قوته، فيستمد منها جرأته، فإذا انطلق ما من أحد يوقفه، ولكنه للأسف قصير النظر، يهجم أولا، ثم يتبين الخبر، فإن كان صديقا قفد انتهى، وإن كان عدوا فقد انتصر، تعشقه الكثير من الحشرات، لتتغذى من جسده على الفتات، فإذا كثرت به الآفات، ترك الطيور فتلتقط هذه الحشرات.

هكذا كل قوى قصير النظر، يضرب ثم يتبين الخبر، فإن أصاب فقد انتصر، وإن أخطأ أخفى الأثر، ويصحبه كل ضعيف يشعر بالهوان، عله يلقى فى كنفه الأمان، فإذا انتبه القوى لغيِّهم واستبان، تركهم صيدا لغيرهم، ففقدوا فى ظله الأمان. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (هود ١١٣).

الدب

ثقيل الوزن، خفيف الحركة، قوى البنيان، سريع العدو، طيب الملامح شرس الطبع، إن تجاهلته تركك، وإن واجهته قتلك، فلا يلهينك جمال منظره عن شراسة طبعه.

فإذا رايت قوما جميل قولهم، قبيح فعلهم، طيبة ملامحهم، شرسة طباعهم، فلا يلهينك جمال قولهم عن سوء فعلهم، ولا طيبة ملامحهم عن شراسة طباعهم، فإنما هم دببه، ويظنون أنهم ملوك، إذا أسلمت لهم سلبوك، وإذا واجهتهم قتلوك، قال تعالى: ﴿ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ (آل عمران ١٥٤).

فرس النهر

فرس النهر، عملاق البر، وسيد النهر، آكل للعشب، خطير ولكنه لطيف، سئم ظلم البر، فغاص فى عمق النهر، لا يخرج إلا للأكل، خشى خطورته على غيره، فآثر الانفراد بنفسه، ليكفى الجميع سوء شره، فعاش فى وحل النهر، خير من عيشه على ظلم الغير.

هكذا كل صاحب ضمير حى، لا يهنأ بالعيش، إن كان فى وجوده للآخرين ضير، وإن كان بغير قصد، فيؤثر السلامة، إما بالتغيير أو البعد، فينال الحب بعد الفقد، ويحظى بالود بغير جهد، ومن لم يشعر بظلمه الغير، ويهنأ بعيشه وإن ضر ، فهذا لا ضمير له، وعيشه ضير فى ضير، قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر٩).

الفيل

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾ (الفيل ١)

الفيل، رمز القوة والرشاقة، والملك الحقيقى للغابة، المثال الأعظم من الله تعالى لاستخدام العقل عند القوة، والعدل عند السطوة، جاء به أبرهة الجبار، ليقود الجيش الجرار، لهدم البيت الحرام، وغرته قوته، وكثرة جنده، وعدته وعتاده، وضعف أعدائه، ولم يدر أن للبيت ربا يحميه، فما كان من أصحاب البيت إلا الدعاء، للنجاة من شر هذا البلاء، فلما رأى الفيل البيت سجد للرحمن، وعصى أوامر الشيطان، وتحمل العذاب والضرب، فى سبيل حماية بيت الرب، فأرسل الله الطير بالخلاص، فعلم الجبار أنه لا مناص، فانظر كيف هزم الله من جاء بأضخم المخلوقات وأكبرها وأقواها ، بأرق المخلوقات وأجملها وأشجاها، فهلاك أصحاب الفيل مثل لمن غرته قواه، وانتصار الطير مثل لمن تولاه الله، فالقوة ضعف إن ساندها شيطان، والضعف قوة، إن ساندها الرحمن، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص ٧٨)

الزرافة

الزرافة، أميرة الصمت، سيدة العلياء، رقة وجمال، ورشاقة وسرعة، تهابها -رغم قوتها - السباع، ولا يقوى عليها الأسد وإن جاع، تقاتل ولا تهرب، وتقتل عندما تضرب، ولا تبدأ بالقتال، ثم تخطو الأميرة فى دلال؛ عندما ينتهى القتال.

فلا يغرنك صمت الحليم عند سماعه الأذى، ولا يغرنك عفو الكريم عند أسر العدا، واحذر غضبته، فما لغضبة الحليم من مدى، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الطارق ١٥ : ١٧).

الغزال

الغزال، رقيق فى الدغل، جميل فى الشكل، رشيق القد، سريع العدو، عربى الأصل، مسالم فى عالم الغدر، يحوطة الشر من كل ثغر، يطلبه السبع وصاحب الناب وصاحب الظفر، ولا يملك إلا الفرار، ولن ينفعه فى عالم الشر، فإن فر من سباع الأرض، صادتة سباع الطير، هكذا الجمال و السلم، يخشاهما القبيح باغى الشر، فوجود الجمال يظهر القبح، ووجود السلم يظهر الغدر، ولولا الخير ما عرف الشر، فكن كالغزال فى الجمال، ولكن تحلى بالناب وبالظفر، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠).

القردة

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (الأعراف ١٦٦) تشبيه بليغ لمن ترك أوامر الرحمن وتبع وساوس الشيطان، وأتى ما نهى الله، وترك ما أمر به، وهنا يكمن سر التشبيه بالقردة، فالقرد هو أقبح الحيوانات شكلا، وأكثرهم ظهورا للعورة، بل ويعظم فى قطيعه أكثرهم ظهورا لعورته، وأكثرهم بطشا بعشيرته، فما تحولوا إلى قردة، بل سلكوا مسلك القردة، ففرحوا بظهور عورتهم، وتباهوا بها بل واعتبروا ظهورها تقدما وحضارة، وإخفاءها تخلفا ورجعية، والبطش سبيل القيادة، والحكمة ضعفا وذلة، ولذا قال لهم كونوا قردة – أى عيشوا كالقردة – فما أشبه اليوم بالبارحة، بل وأصبح العراة علية القوم، وأصحاب البطش قواد القطيع، فتفننوا فى إظهار العورة بل والتباهى بها، وتفننوا فى تبرير البطش، والحكم به، فكانوا كقطيع القردة، أكثرهم إحمرارا لعورته، أقربهم لقيادة القطيع، فإن قال داروين: بأن الإنسان أصله قرد، رددنا عليه قوله، بأن القرد أصله إنسان، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (البقرة ٦٥).

الكسلان

الكسلان، غريب الشكل، عديم الذيل، أبتر الأذن، أفطس الأنف، رمادى اللون، كثير النوم، شديد البطء، قوى المخلب، لا يضرب ولا يهرب، يقتات من الحشرات على الصغير، ولا يأكل الفتات، ولا يهضم الكبير، لأنه شديد الكسل، قليل العمل، ويأكل النباتات وأوراق الشجر، لذا فالأشجار له وطن، لا ينزل منها من شدة الكسل، فإن عطش شرب العسل، سباح ماهر ولكنه قذر، قل ما يلقى نفسه فى النَّهَر، فصار كريه الرائحة يتعلق بجلده القَذَر، فأوشك على الانقراض، وصار مصيره إلى الهلاك.

كذلك كل قوم شعارهم الكسل، أهمهم الطعام والشراب، وما أهمهم العمل، وظنوا أنه بالشهوات ترتقى الأمم، فتركوا العمل، وأنغضوا الهمم، وتفاخروا بأنفسهم على الأمم، وظنوا بأن الحياة بالنوم تسير، فتأخروا وفاتهم من الخير الكثير، وأوشك نجمهم على الأفول، أصبحوا لمن كانوا هم أئمتهم كالذيول. قال ﷺ: «**اللهُم إني أعوذُ بكَ مِن الهَم والحَزَن، وأعوذُ بكَ مِن العَجزِ والكسَل، وأعوذُ بك مِن الجُبن والبُخلِ، وأعوذُ بكَ مِن غلَبَةِ الدين وقهْر الرجال**» (البخارى فى صحيحه).

التمساح

قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ (النور: ٤٥).

التمساح، حيوان برمائى، يمشى على أربع، وله عين تدمع، غليظ الجلد، عظيم الفك، شديد الفتك، يفترس كل من يراه، فى البر أو فى المياه، إلا من كانت له عنده حاجة، فيفتح له فكيه بسعادة، فيتغذى على البقية من ضحايا الافتراس، وينقيها بنهم من بين الأضراس، فيصبح الطائر الصغير شريكا للتمساح فى الافتراس، ولا يأكله التمساح رغم قوته، ولا يخشى الطائر رغم وجوده تحت عظْمته، فالتمساح يقى الطائر لمنفعته، والطائر يصحبه من أجل لقمته، والغريب حين يدمع على فريسته التمساح، والأغرب أن يساعده الطائر فى الصياح، وكأنما يعترفون بالجميل، بعد أكلهما لحم القتيل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء ٣٣).

الثعبان

قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأعرف ١٠٧).

الثعبان، سريع الحركة، ناعم الملمس، شديد الفتك، قوى البنيان، يرهب الظالم، فرعون وهامان، ويخضع للعالم، موسى بن عمران، بقبلته يسرى السم فى الأبدان، وبضمته تختلف الضلوع فى الأركان، فلا قبلته حنان، ولا ضمته أمان، فلا يغرنك حنان من قتل وخان، وأسال الدم وأحرق الأبدان، فما قوله صدق، ولا فعله حق، ولا عهده أمان، وإنما هو ثعبان يبث السم بمعسول الكلام، قال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الصف ٣).

العقرب

العقرب، خسة ونذالة، يضرب ويهرب، إن قاتلته قتلك، وإن سامحته لسعك، شديد السمية، لا يعرف السماحة، يؤذى لمجرد الإذاية، ويقتل ليتلذذ بالنهاية.

فإن أدركت قوما إذا ائتمنتهم خانوك، وإذا سامحتهم قتلوك، فاعلم أنهم عقارب تبث السموم، وتمزق العروق، وتتلذذ بالدم، فاحذر عملهم، ولا تكن أبدا مثلهم، فتفعل مثل فعلهم، قال رسول الله ﷺ: **«أَدِّ الأَمانَةَ إلى مَنِ ائتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ مَنْ خَانَك»** (**أبو داوود فى سننه**).

الفأر

الفأر، صغير قذر، جبان حذر، شديد الذكاء، حاد البصر، عدو للبيئة مضر للبشر، يغنيه الحذر من سوء القدر، فإن وقع فى المكيدة؛ فر الجميع واتخذوا الحذر، يحفظ مواقع الهرب، فإن فاجأته بلا تردد هرب، وإن سددتها، انفعل واضطرب، وإلى الهلاك اقترب.

فإن رأيت خرابا فى الأرض، وإضرار بالبشر، وإصرارا على الفساد، مع أخذ الحيطة بالقانون والحذر، فاعلم أنهم فئران، تعد العدة للفرار، فإن سددت عليهم باب الهرب، هاج بعضهم واضطرب.

قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ (الأحزاب ١٣).

اليربوع

اليربوع، قصير مكير، سريع العدو، واسع الحيلة، دائم الهرب، لقلة حجمة وكثرة طلابه، آثر النفق طريقا للهرب، فمداخله قليلة ومخارجه كثيرة، ودروبه توقع العقل فى حيرة، فمن طلبه وأدركه قبل النفق فقد سبق، ومن تبعه فى النفق هلك.

كذلك كل زكى، واسع الحيلة، له عند الضيق مخارج كثيرة، فإن تبعه الغبى بلا تفكير، وقع فى المحظور من الأمور والخطير، وما له من مخرج فى تلك الساعة، فسوء التدبير أوقعه فى المتاهة، فما له إلا التسليم بالهزيمة، أو الموت فى المتاهة، ويا لها من نهاية ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الكهف ١٠٤).

القنفذ

القنفذ، صغير ولكنه خطر، آكل لحوم وحشرات، وثمار وأوراق شجر، يسكن تحت جذور الشجر، وينشط ليلا فى وقت السحر، ويزداد نشاطا فى ليالى القمر، يحميه شوكه عند الخطر، يهاجم الأعداء بلا حذر، فإن أحس بضعف؛ فى شوكه اندثر، فلا يبين له أثر.

كذلك كل فطن حذر، يتبين من أعدائه، فيعرف مواطن الخطر، فإن وجد فيهم ضعفا هجم، وإن خاف القوة آثر الحيطة والحذر.

قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (المنافقون ٤).

السلحفاة

السلحفاة، قليلة الحركة، كثيرة العيش، قليلة الأكل، كبيرة الحجم، هدفها الحياة لا غير، وإن أصاب غيرها الضر، تلقى فى العراء بيضها، ولا تعرف أبدا صغارها، ولا تبالى إلا بنفسها، وإن هلك فى سبيلها غيرها، تخاف برد الشتاء فتختفى، وتخشى مواجهة الأعداء فتختبى، فإن أحست يوما بالخطر؛ دخلت درقها فلا يبين لها أثر.

كذلك الجبان، لا يبالى إلا بنفسه، ، إن واجه الأعداء انكمش فى جلده، ولا ينطق بالحق أبدا لينقذ غيره، بل ويدافع عن الباطل وإن هلك فى سبيل الحق غيره، فإن زال الخطر ظهر، وتفاخر بنفسه، بل وتحدث عن شجاعة فعله. فإن أحبه من هم مثله، فإن الله أبدا لا يحبه، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الحج ٣٨).

أرمادييللو (المدرع)

المدرع، قوى مدرع، شديد الصلابة، لزج اللسان، ليس له أسنان، لذا فغذاؤه الحشرات والديدان، ذو مخالب حادة، تشبه المفترسات، ولكنه مسالم، لا يدافع أبدا ولا يهاجم، فإن واجهه العدو هرب، تحت الماء،أو فى نفق، أو بين الشائك من العشب، فإن لم يسعفه الوقت، فى درعه التف، فلا يخترقه ناب، ولا يصل إليه كف.

هكذا الجبان مهما أوتى من قوة، لا يشعر أبدا بما فيه من فتوة، عند المواجهة يشعر بالخوف، إلا إن علم ما في صاحبه من ضعف، فيهجم بدون خوف، فإن تماسك العدو وأظهر القوة هرب، وإن تابعه العدو اضطرب، فوقع فريسة لجبنه، ولو ثبت لفر العدو وانقلب. قال تعال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأنفال ٤٥).

الضب

الضب، مسخ ما له من فائدة، انقضت أجداده فى الأيام البائدة، فانزوى فى جحره فى المفاوز المهلكة، كثير الضلال كثير الحيرة، إن خرج من بيته ضل عند المعاودة، من خشيته لأعدائه يأكل أولاده إن تحركن؛ واحدة تلو الواحدة، فلا تنجو منه إلا الشاردة، ما له من حليف إلا العقرب السوداء الفاسدة، تقبع فى جحره وله دائما مراقبة، فمن تبعه سمته وإن كانت الضحية للجحر زائرة.

فإن أدركت من يتحالفون مع قوى الشر، ليبعدوا عن طريقهم كل ناصح وبر، ويقتلون كل مناد للخير، عيشهم ضلال، وقولهم كفر، وفكرهم حيرة، وخيرهم شر، فاعلم أنهم إلى زوال، وقريبا يتجرعون من عقاربهم السم. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ (فاطر٤٣).

الحرباء

الحرباء، صغيرة الحجم، شديدة الفتك، تثبت فى مكانها، وتتفنن فى خفائها وتغيير لونها، فلا تراها عين، ولا يعرف لها أين، فإذا مر الصيد؛ عليه تنقض، وقل ما يفلت منها صيد، تتلون حسب المزاج، فتارة للصيد، وتارة للحب، وأخرى للزواج.

هكذا يكون المداهنون، حسب حاجتهم يتلونون، وحسب أهوائهم يتغيرون، ويضرون ولا ينفعون، وما يتبعهم إلا الغافلون، الذين يسمعون ولا يعقلون، وينظرون ولا يبصرون. قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف ١٩٨).

العظاءة

العظاءة، كثيرة الألوان، كثيرة الأنواع، شبيهة التمساح، سليلة الأفاعى، كثيرة الخداع عند الدفاع، فتقطع الذيل ليتلوى، فينشغل العدو عنها ويتلهى، فإما تهرب وإما تضرب، فإن كان العدو سفيها، أحدثت انتفاخا وأصدرت فحيحا، وبذيلها تضرب، فتوهمه بالقوة رغم ضعفها، فيخنس السفيه خوفا من بطشها.

هكذا كل لئيم ضعيف، يخدع الأقوياء بقطع الذيل ليتجنب معهم القتال، ويرهب بالقوة الزائفة الضعفاء والجهال، فيخشوه ويرضون بمقتضى الحال، فإذا فطن القوى للخداع وهم بالقتال، سفه الضعيف فعله، ورماه بقبيح المقال، ودافع عن اللئيم وعظَّمه خوفا منه؛ ولو انهال عليه بالنعال. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (البقرة ١٣).

الوزغ

الوزغ، مرقط رقيق الجلد، ليس له جفن، سريع الحركة مرواغ، غير محبوب قط، إن أحس بالخطر، يتلوى بذيله لينشطر، فيلهى المطارد بالذيل، ويفر بالرأس من الخطر.

فإن واجهت العدو، فلا يلهينك ذيل الخطر، وإنما عليك بالرأس، فإن قطعتها تبعها الذيل وزال الخطر. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (محمد ٤).